

الوجود النورماني (رجار الثاني) في شمال إفريقيا (طرابلس الغرب)

Normans (Roger II) in North Africa (Western Tripoli)

بعارسية صباح ♦

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة s.bearcia@univ-dbkm.dz

تاريخ الإرسال: 2023/02/28 تاريخ القبول: 2023/06/18 تاريخ النشر: 2023/06/30

الملخص: يهدف هذا البحث للتعريف بحقبة الاحتلال النورماني للشمال الإفريقي عامة، ولطرابلس الغرب خاصة في عهد الملك النورماني رجار الثاني (Roger II)، والتي استمرت في مدينة طرابلس لأقل من عقد من الزمن (1146-1154م). وقد استخدمنا، بحكم التخصص، المنهج التاريخي الوصفي، مستعينين بمصادر الفترة، ومراجع متأخرة ودراسات حديثة، قليل منها توسع في ظروف الاحتلال وحالة المدينة بعد استيلاء النورمان عليها.

وقد توصلنا إلى نتائج مفادها أن الاحتلال النورماني لبعض مدن بلاد المغرب، ولمدينة طرابلس خصوصاً كانت وراءه دوافع اقتصادية واستراتيجية، وبدرجة أقل دوافع دينية، خاصة أن المدينة كانت تعيش صراعاً على الحكم سهل احتلالها. كما كانت سياسة رجار الثاني في المدن التي احتلها من الصعوبة إيجاد فرق بين وضعها قبل الاحتلال وبعده، إلا في الرهائن الذين أخذهم النورمان، والجزية التي فرضوها على المسلمين. **الكلمات المفتاحية:** النورمان؛ طرابلس الغرب؛ رجار الثاني؛ بلاد المغرب؛ الدولة الزيرية.

Abstract: This study aims to introduce the era of Norman occupation in North Africa in general, and specifically in the city of “Tarābulus al-*Gharb*”;” Western *Tripoli*” during King Roger II's reign. This occupation lasted for less than a decade (1146_1154 AD). And we used, based on our expertise, the descriptive historical method, relying on period sources, later references, and recent studies, some of which go into great detail about the conditions of the occupation and the city's situation after the Normans took

♦ المؤلف المرسل

control. Our findings indicate that the Norman occupation of certain cities in Maghreb, particularly Tripoli, was driven by economic and strategic motives, with religious motives playing a lesser role. This is mainly because the city was engulfed in internal power struggles, which facilitated its occupation. Moreover, Roger II's policies in the cities he occupied did not significantly differ from their pre-occupation state, except for the hostages taken by the Normans and the tribute imposed on Muslims.

Keywords: Normans, Western Tripoli, Roger II, *Al-Maghrib*, Zirid state.

مقدمة:

انطلق نورمان صقلية لاحتلال أجزاء من الشمال الإفريقي. وكان رجار الثاني لقب نفسه في بعض قراراته "ملك صقلية وجنوب إيطاليا وإفريقية". وشجّت كثير من المصادر عن ذكر الحقبة النورمانية في طرابلس وما حولها، حيث دفع المسلمون الجزية لرجار الثاني، وضرب عملة عليها اسمه ولقبه وشاراته (تقليدا للمسلمين)، وهو الذي شجع الهجرة إلى مدن الشمال الإفريقي المحتلة. وكان هذا الغزو عقب استيلائه على صقلية التي كانت فيها "حضارة العرب زاهرة حين فتحها النورمان، فانتحل ملوكها نظمهم، وشملوهم برعايتهم"¹. وأكثر من هذا "اتخذ النورمان، وكانوا حديثي عهد بالمدنية، سيرة ملوك المسلمين. لبسوا لباسهم، وتحلوا بأخلاقهم، وسكنوا مساكنهم، واستعملوا في دواوينهم لغتهم العربية، فكانت الدولة... دولة نورمانية إسلامية"².

أما في بلاد المغرب، وبعد احتلال النورمان لبعض المدن كطرابلس، فتشج المصادر عندما نبحث عن علاقات رجار الثاني بساكنة المناطق التي احتلها.

وتكمن أهمية موضوع علاقة النورمان بطرابلس بعد احتلالها في قلة تعرض المصادر الإسلامية لهذه العلاقة إلا ما شذ. فهل فعلا طغى التعصب الديني على النورمان في سياستهم في المدن التي احتلوها في الضفة الجنوبية للمتوسط؟ كيف كانت سياسة رجار

1 غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: علي زعيتير، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 319.

2 أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 26-27.

الثاني تجاه سكان طرابلس؟ هل سعى للحكم السياسي المباشر فيها؟ هل كانت أهداف النورمان استراتيجية أم صليبية؟

سنحاول عرض هذه العلاقات. وقد عدنا لمصادر قديمة ومراجع ودراسات حديثة مختلفة. واتبعنا منهجية معينة، حيث عرضنا ما يخص الموضوع متدرجين من العام (المنطقة المغاربية) للخاص (طرابلس). وانتبهنا لبعض الاختلافات في المصادر والمراجع، أحيانا كنا نذكر ذلك، وأخرى كنا نتجاوزه حتى لا نخرج عن المطلوب. وقد حاولنا تحليل موقف رجار الثاني من المسلمين في طرابلس والمدن الأخرى، لنخرج باستنتاجات في آخر الأمر. أما الهدف من الورقة العلمية فهو التعرض لتاريخ المنطقة في فترة ضعفها، ولللاقات بين المسلمين والنورمان في وقت ساد فيه التعصب الديني بين الطرفين.

1- الأوضاع العامة في صقلية وفي الدولة الزيرية قبل الغزو النورماني:

سنعرض أوضاع صقلية العامة بعد الغزو النورماني، وعلاقتهم مع الحكام الزيريين. كما سنشير لأوضاع بلاد المغرب تحت الحكم الزيري، والصعوبات التي واجهها الزيريون، ونتيجة ذلك على السياسة النورمانية الداخلية والخارجية.

1.1- في صقلية:

بعد إتمام الغزو النورماني لصقلية سنة 484هـ/1091م وحتى سنة 494هـ/1101م، ساد الهدوء الجزيرة وأبدى رجار الأول (Roger I) (453-494هـ/1061-1101م) تسامحا في الحكم. وقد ظل المسلمون الذين عاملهم بتسامح مطيعين له، وظل العنصر الإسلامي في جيشه بارزا. وقد قاوم، لأسباب تتعلق بسلامة الدولة، ضغوط الكنيسة لتنصير المسلمين³. خاصة أنه عقد معاهدة مع تميم بن المعز الزيري (453-501/1061-1108م) سنة 467هـ/1075م، التي تعد نقطة تحول العلاقات بين الطرفين، حيث استطاع رجار الأول في ظل تلك المعاهدة استكمال استيلائه على صقلية، وبذلك فرض الوجود النورماني في وسط المتوسط⁴.

3 أحمد عزيز، تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، د. ب، 1980، ص 64.

4 حسين ممدوح وشاكر مصطفى، الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري، دار عمار، عمان، الأردن، 1998، ص 191.

وكان قد أصاب الجناح الغربي من العالم الإسلامي، منذ أواسط القرن 5هـ/11م، تمزق وانقسام، وقد أدى ظهور النورمان كقوة جديدة في ميدان السياسة الدولية إلى تغير ميزان القوى في غرب المتوسط لصالح القوى المسيحية⁵.

2.1- في الدولة الزيرية:

كان المعز (406-453هـ/1015-1061م) والد تميم، وهو رابع الملوك الزيريين، قد قضى السنوات الأخيرة من حكمه سجيناً في المهديّة، بعد أن رأى خراب بلاده. وخلفه ابنه تميم الذي اقتصرت دولته على المهديّة وأحوازها. أما باقي أراضي الدولة الزيرية (362-543هـ/973-1148م) فقد اقتسمه الهلاليون وبعض زعماء زناتة وصنهاجة، ما أطمع النورمان في سواحل إفريقيا الشمالية⁶.

لقد وقفت الدولة الزيرية في وجه النورمان وحدها لزمان، ولم يضعف أمرها إلا بعد الغزوة الهلالية⁷. ونتج عن المواجهة الحربية لرجار الثاني (1130-1154م) مع العالم الإسلامي، حملات بحرية ضد عدد من المدن الساحلية واحتلالها آخر الأمر⁸.

2- تعريفات:

قبل ذكر احتلال رجار الثاني لطرابلس، سنعرف بكل من طرابلس ثم رجار الثاني ونشير للسياسة التي اتبعها تجاه المسلمين، ثم نُعرّف بجورج الأنطاكي (George of Antioch) قائد أسطوله، وصاحب غزواته على الشمال الإفريقي.

1.2- طرابلس:

تكمن خصوصية طرابلس في العصور الوسطى في موقعها؛ فهي مركز (تقع بين حوضي المتوسط الشرقي والغربي، بين المشرق والمغرب الإسلاميين) وهي في نفس الوقت هامش (تقع بين المنطقة التابعة لحاكم مصر حتى برقة، وبين المنطقة التابعة

5 المرجع نفسه، ص 14.

6 حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، طبعة خاصة، دار رشاد، مصر، 2004، ص 171-172.

7 المرجع نفسه، ص 176.

8 أحمد عزيز، المرجع السابق، ص 65.

للقيروان بولاية إفريقية) في الفضاء السياسي والاقتصادي لبلاد الإسلام والمتوسط. هي وسيط بين شبكات لها علاقة بالشرق والمغرب، وبإفريقيا جنوب الصحراء والمتوسط⁹.

إضافة لموقعها الاستراتيجي، هي "بلدة كريمة البقعة، طيبة التربة مختصة القاعة، بسواحل قطعة إفريقية الشمالية"¹⁰. وهي "مدينة كبيرة أزلية.. وبها أسواق حافلة جامعة... ومرساها مأمون من أكثر الرياح، وهي كثيرة الثمار والخيرات، ولها بساتين جليلة في شرقها"¹¹. و"أكثر أهلها تجار يسافرون برا وبحرا، ولهم سمح في تجارتهم"¹².

2.2- رجار الثاني (عاش بين 488-548هـ/1095-1154م):

هو ابن رجار الأول. حكم فترة تحت وصاية والدته. تربى في محيط انتشر فيه الامتزاج بين اليونان واللومبارد والمسلمين واليهود، مع أن الطبقة الحاكمة كانت نورمانية. حكم صقلية وجنوب إيطاليا (ملك الصقليتين) منذ سنة 524هـ/1130م. وكانت لديه سياسة توسعية في المتوسط، وحتى هجمات على البيزنطيين. كما كان له تحالفات مع كتالونيا والأسر الحاكمة المسلمة، والتي كانت تعاني من اضطرابات مست بلاد المغرب والأندلس. وتمكن سنة 533هـ/1139م من القضاء على معارضة بعض الإقطاعيين في إيطاليا، واعترف به البابا إينوسنت الثاني (Innocent II) (523-537هـ/1130-1143م) مرغما بعد أن أسره¹³.

9 Dominique Valérien, « Tripoli dans les réseaux d'échanges intercontinentaux à la fin du Moyen Âge », in **Hypothèses**, Éditions de la Sorbonne, 2013/1 16, p. 1.

10 أحمد بك الأنصاري الطرابلسي، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس الغرب، ليبيا، د.ت، ص 8-9.

11 شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد 4، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 23، كذلك مجهول كاتب مغربي من القرن 6هـ/12م، كتاب استبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، د.ن، د.ب، د.ت، ص 110.

12 مجهول، المصدر السابق، ص 110.

13 Pierre Aubé, "Roger II de Sicile. Un « Normand en Méditerranée »", in **La Pensée de Midi**, Marseille, N° 8, 2002, pp. 3-4 et 6.

لقد جمع "إلى كرم الأخلاق طيب الأعراق، وإلى جميل الأفعال حسن الخلال مع شجاعة النفس وصفاء الذهن، وغور العقل... وسداد الرأي والتدبير والمعرفة بتصاريف الأمور من نهاية الفهم الثاقب، ومراميه كالسهم الثاقب"¹⁴.

وكانت له مراسلات مع حاكم مصر الفاطمي. كان تسامحه يشير تساؤلات في عالم وسيط كانت فيه حروب صليبية بين المسلمين والمسيحيين. استطاع المزوجة بين الفن الإسلامي والفن الأوروبي في الكنيستين اللتين بناهما¹⁵.

وهو الذي كلف الجغرافي الإدريسي (493-559هـ/1100-1166م)، سنة 534هـ/1140م، برسم خريطة للعالم. وقد أنهى الإدريسي "الكتاب الروجاري" في شوال 548هـ/منتصف جانفي 1154م¹⁶.

1.2.2- سياسته في بداية حكمه:

"أفضل ما عني به الناظر واستعمل فيه الأفكار والخواطر، ما سبق الملك المعظم رجار المعزز بالله، المقتدر بقدرته، ملك صقلية... إمام رومية الناصر للأمة النصرانية، إذ هو خير من ملك الروم بسطا وقبضا، وصرف الأمور على إرادته صرفا وقبضا، ودان في ملته بدين العدل...، وأجرى سنن دولته على أفضل نظام وأجمل القيام، وافتتح البلاد شرقا وغربا، وأذل رقاب الجبابرة من أهل ملته بعدا وقربا بما يحويه من جيوش متوفرة العدد والعدد..."¹⁷.

"وقد استعمل مسلمي جيشه في المواجهات الأوروبية على نطاق كبير. وعندما ملك بعد أبيه سلك طريق ملوك المسلمين من الحنائب والحجاب... وغير ذلك، وخالف عادة الفرنج فإنهم لا يعرفون شيئا منه، وجعل له ديوان المظالم ترفع إليه شكاوى المظلومين فينصفهم ولو من ولده، وأكرم المسلمين وقربهم ومنع عنهم الفرنج فأحبوه، وعمر أسطولا كبيرا وملك الجزائر التي بين صقلية والمهدية وتطاول إلى سواحل إفريقية"¹⁸.

14 الإدريسي الشريف محمد الحسني، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص 4.

15 P.Aubé, Op.cit., p. 10.

16 Ibid, p. 12

17 الإدريسي، المصدر السابق، ص 3-4.

18 عز الدين بن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، المجلد 8، الطبعة 4، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص 474.

كما دفع رجار الثاني للمسلمين المناصب الكبيرة. وقد شاع بين الناس أنه أسلم، ويقول عنه المستشرق الإيطالي أماري (Amari) (1221-1306هـ/1806-1889م): "أنه سلطان عربي يحمل تاجا لملوك الإفرنج"¹⁹. كما تلقب بـ"المعتر بالله" في السكة والنقوش، تقليدا للفاطميين²⁰.

لم يشجع خلال حكمه على تنصير الجنود المسلمين، فقد كانوا أكثر نفعا كمسلمين في حروبه في إيطاليا. تميز حكمه بالتسامح تجاه المسلمين²¹.

توفي رجار الثاني عن عمر 58 سنة، وقد ساد ممتلكاته أمن ورخاء لم يتوفر آنذاك في أوروبا. وقد أصلح القانون القضائي، ووضع القانون والأمن موضع التنفيذ. واستعان في النهوض بالإدارة المدنية برجال أكفاء يتكلمون لغات مختلفة، ويعتقون أديانا ومذاهبا شتى²².

كان أميل للهدوء في مملكته، أراد كسب قلوب جميع من يعيشون تحت حكمه، وعدم إثارة الفتن والفتن والقتال بدافع ديني يزج بالجزيرة في عواقب وخيمة على ملك النورمان لها، ولم يسمح للمسلمين في جيشه أن يتنصروا، وكره أن يرى النصارى يعتنقون الإسلام²³.

2.2.2- سياسته في نهاية حكمه:

دشن في نهاية سنة 548هـ/1153م. سياسة قائمة على الاضطهاد الديني. مرد ذلك وفاة 3 من أبنائه في 9 سنوات، وسوء حالته الصحية، وقيام الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنينوس (Comnenus 537-575هـ/1143-1180م) بالتعبئة في منطقة البحر الأدرياتيكي، إضافة لظهور الموحدين (515-667هـ/1121-1269م) في بلاد المغرب كقوة. وقد انتهج في سنواته الأخيرة سياسة ترمي إلى تنصير اليهود والمسلمين²⁴.

19 نقلا عن سليم حياوي، الغزو النورماني للساحل الإفريقي تونس وليبيا في القرن السادس الهجري، جامعة بابل، قسم التاريخ، العراق، 2010، ص 49 هامش 199.

20 أحمد عزيز، المرجع السابق، ص 73.

21 المرجع نفسه، ص 81.

22 المرجع نفسه، ص 67-68.

23 موقع الألوكة، الوجود الإسلامي في صقلية بعد سقوطها في أيدي النورمان، https://www.alukah.net/world_muslims، تاريخ الاطلاع: 2022/08/24.

24 أحمد عزيز، المرجع السابق، ص 81.

ومثال هذا الانقلاب إعدام فيليب المهداوي (Filippo di Mahdia)، قائد أسطوله بعد وفاة جورج الأنطاكي، لمجرد أنه سمح لبعض الثُساك والعُباد المسلمين بمغادرة مدينة بونة عند احتلاله لها سنة 548هـ/1153م، فاتهم بتغيير دينه، وأعدم حرقاً²⁵، "وهذا أول وهن دخل على المسلمين بصقلية"²⁶.

3.2- جورج أو جورجي الأنطاكي:

قائد جيش رجار الثاني. نجده في المصادر الإسلامية تحت اسم جرجي بن ميخائيل الأنطاكي. كان أبوه "علجا من علوج تميم. فكان هذا اللعين عارفا لعورات المسلمين بالمهدية وغيرها"²⁷. خدم لدى الأمير الزيري تميم، فتوفرت لديه معلومات على طبوغرافية ساحل شمال إفريقيا، ثم التحق بخدمة رجار الثاني سنة 505هـ/1112م²⁸. وكان تميم ألحقه في خدمته، ... وحكّمه في دخله وخرجه. توفي سنة 546هـ/1152م²⁹.

وذكر ابن خلدون أنه كان نصرانيا هاجر من المشرق، وقد تعلم اللسان وبرع في الحساب، وتهذب في الشام بأنطاكية وغيرها³⁰. وهناك قول أن جورج الأنطاكي خاف على نفسه من يحي عند وفاة تميم فهرب إلى صقلية³¹.

3- دوافع الغزو:

لقد خطط رجار الثاني لضم إفريقية لمملكة صقلية، لكن الموت سبقه³². يثير التورط العسكري النورماني في إفريقيا ثلاثة احتمالات: الأول ديني تمثل في توسيع النشاط الصليبي إلى ساحة مهملة نسبيا، والثاني اقتصادي لحماية طرق التجارة الرئيسية،

25 مهدوح حسين، المرجع السابق، ص 177.

26 ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد 9، ص 391.

27 ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب، الجزء 1، مكتبة صادر، بيروت، 1950، ص 451.

28 أحمد عزيز، المرجع السابق، ص 65.

29 مهدوح حسين، المرجع السابق، ص 197.

30 عبد الرحمان بن خلدون، تاريخه، طبعة مصححة، بيت الأفكار الدولية، الأردن- السعودية، د.ت، ص 1635.

31 مهدوح حسين، المرجع السابق، ص 197.

32 David Abulafia, The Great Sea A Human History of the Mediterranean, Oxford university press, Great Britain/USA, 2011, p. 319 et 321.

والثالث إمبريالي وهو محاولة منه لبناء إمبراطورية متوسطية³³ متحكما في المياه حولها³⁴. والظاهر أن الدافع الديني لم يكن من اتهامات الملك، خاصة إذا علمنا موقفه من سكان المدن الإفريقية التي احتلها، لكن يبقى ضغط الكنيسة قوي، وقد تعامل معه بطريقة أبعدت عنه شكوك الكنيسة في عدم مشاركته في الحرب الصليبية الأولى (489-492هـ/1096-1099م)، بدعوى حرب صليبية في غرب المتوسط.

1.3- دوافع اقتصادية:

إن القرب بين السكان والثقافات، وتكامل الاقتصاد بين ضفتي المتوسط (صقلية توجهت لزراعة القمح وإفريقيا توجهت للصيد البحري وللزيوت ومنتوجات المناطق نصف القاحلة)، إضافة لما كان يصل موانئ الساحل المغاربي من بضائع مع قوافل الصحراء جعل التبادل التجاري مزدهرا. لكن التوسع النورماني اصطدم بالاختلاف الديني الذي عرقل الوحدة السياسية³⁵.

ومن دوافع الاحتلال النورماني للشمال الإفريقي ربط علاقات اقتصادية مع المشرق والمغرب³⁶، خاصة أن رجار الثاني جعل له وكلاء في المدن الإفريقية، محاولة منه للسيطرة على اقتصادها. كان له سنة 510هـ/1117م وكلاء بالمهدية يقومون بتسويق القمح في شمال إفريقيا لحسابه، وكان هؤلاء إلى جانب ذلك يقومون بإقراض الأموال للتجار في المدينة وللأمير الزيري نفسه، كل هذا ليتمكنوا من التحكم في اقتصاد البلاد³⁷. ويبدو أن رجار الثاني، ورغم احتلاله للساحل الإفريقي الشمالي، انتهج سياسة ودية تجاه الفاطميين في مصر، الذين كانت علاقاته التجارية معهم مرضية. ويبدو أن التجارة بين صقلية ودول شمال إفريقيا استمرت حتى خلال سنوات الحروب القائمة بينهما³⁸.

2.3- الدافع الاستراتيجي:

33 موقع stringfixer، مملكة إفريقيا، https://stringfixer.com/ar/Kingdom_of_Africa تاريخ الاطلاع: 2022/08/18.

34 D.Abulafia, Op.cit., p. 319-320.

35 H. Bresc, « La Sicile et l'espace lybien au moyen âge », in **Africa**, Institut des mondes africains, N° 63, 2, 2008, p. 187.

36 P. Aubé, Op.cit., p. 10.

37 ممدوح حسين، المرجع السابق، ص 196.

38 أحمد عزيز، المرجع السابق، ص 67.

كانت مناهضة النورمان سواحل الشمال الإفريقي سعيًا للسيادة البحرية على المتوسط. في سنة 506هـ/1113م أغارت قطع بحرية زيرية على مدينتين إيطاليتين، ونتيجة لنشاط المسلمين البحري أصبح البحر غير مأمون بالنسبة للتجار والحجاج الأوروبيين. وأتاحت المنازعات الداخلية بين دول جنوب المتوسط الفرصة التي كان يتطلع لها النورمان³⁹.

ثم حاول النورمان السيطرة على موانئ شمال إفريقيا المقابلة لصقلية (تونس وطرابلس)، وذلك أعوام 511-520هـ/1118-1127م، من أجل ضمان السيادة البحرية لأسطولهم في وسط المتوسط من جهة تحكمهم في الملاحة بين شرقه وغربه، حيث أراد رجار الثاني أن يؤمن حكمه في صقلية من إمكانية تآمر المسلمين ومحاولاتهم استرداد صقلية. وقد وجد أن سيادة أسطوله في المتوسط ستؤمن المنطقة فضلاً عن تخلصه من أسطول الزيريين الذي كان أقوى الأساطيل. ونجده يبدأ باحتلال مدن المنطقة الغربية مستغلاً العلاقات التجارية والدبلوماسية بينه وبين الفاطميين في مصر من ناحية، وانشغالها بالحروب الصليبية في المشرق من ناحية أخرى⁴⁰.

وقد تحالف رجار الثاني مع ريموند الثالث (Ramon III)، كونت برشلونة (478-525هـ/1097-1131م) وألفونس السابع (Alfonso VII) ملك قشتالة (520-552هـ/1126-1157م) في الأندلس بأسطول تحت قيادة جورج الأنطاكي⁴¹. ولم يشارك في الحرب الصليبية بالشرق لأنه وجد في احتفاظه بعلاقاته مع مدن الساحل الإفريقي أفضل من مشاركته في تلك الحروب، لاسيما وأنه كان مرتبطاً باتفاقيات تجارية مع أمراء تلك المدن، ووجد فيها بعد أن احتلاله للمراكز الرئيسة على الساحل سيجعله مسيطراً على الطرق التجارية إلى الجنوب، فضلاً عن تخلصه من الوكلاء وغيرهم. وعليه فضل السيطرة المباشرة والاحتلال، وهذا ما غير وجهة نظر البابوية نحوه لأنها كانت ترى في تلك التحركات الاستعمارية في مدن وجزر جنوب المتوسط ما يتفق مع غايات وأهداف الكنيسة من الحروب الصليبية⁴².

4- أوضاع مدينة طرابلس قبيل الغزو:

39 المرجع نفسه، ص 65.

40 سليم حياوي، المرجع السابق، ص 11.

41 المرجع نفسه، ص 40 هامش.

42 نفسه، ص 10.

ما سهّل الاحتلال النورماني لمدن إفريقيا الشمالية هو ضعف الفاطميين في مصر (361-567هـ/972-1171م) وقيام الحروب الصليبية في المشرق وانشغال المرابطين (448-541هـ/1056-1147م) بحروبهم ضد الموحدين، إلى جانب ضعف الإمارة الزييرية وانشغالها بمشاكل مع جيرانها⁴³.

لقد سمح موقع طرابلس أن تستقل عن السلطة المركزية. فبعددها عن العاصمة الفاطمية جعل التحكم فيها صعب في أوقات ضعف هذه السلطة؛ مثل ما حدث في بداية القرن 5هـ/11م، عندما تمكن بني خزرون (عائلة قوية من قبيلة مغراوة) من تكوين إقطاعية تعتمد على مجلس أعيان، وإن اعترفت باحتشام بوصاية الخلفاء الفاطميين بالقاهرة، وأحيانا تميل للزييريين بالقيروان، وهذا لم يمنعهم لوقت، من التقرب من الخلفاء الأمويين (138-422هـ/756-1031م) بقرطبة. وبعد وصول الهلالين لطرابلس، في منتصف ذلك القرن، بقي نفوذهم على المدينة، ربما باتفاقيات مع الهلالين⁴⁴.

وكانت المدينة في هذه الفترة قد ضعفت كثيرا بسبب سلسلة من المجاعات، وكانت عمليا في حالة حرب أهلية عندما هاجمها النورمان. وإن بقي ميناءها مهما لوجوده على الطريق البحري من بلاد المغرب إلى مصر⁴⁵.

وكان حكام طرابلس في هذه الفترة من بني خزرون، "لما انفصل العبيديون (الفاطميون) إلى مصر وتركوا الصنهاجيين (الزييريين) بإفريقية استولى بنو خزرون الزناتيون على طرابلس سنة 391هـ/1000م، وكانت بينهم وبين الصنهاجيين وقائع كثيرة.. ولم تزل بأيدي الزناتيين إلى سنة 540هـ/1145م"⁴⁶.

أما عن أهل طرابلس، ولما انحل نظام الحكومة الصنهاجية بإفريقية وتقلص نفوذها، استبدوا بأنفسهم وذلك سنة 524هـ/1130م. لقد رفضوا الاعتراف بالحسن (515-543هـ/1121-1148م) صاحب المهدية، وخرج عليه حاكم طرابلس محمد بن خزرون

43 نفس المرجع والصفحة.

44 D. Valérian, Op.cit., p. 2.

45 موقع stringfixer، المرجع السابق.

46 أحمد بن محمد التجاني، رحلة التجاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1981، ص 241.

وبطانته من بني مطروح⁴⁷ رافضين طاعته ومنعوا المغارم والجباية. في نفس الوقت "تكالب النورمان على الجهات"⁴⁸.

وفي سنة 542هـ/1147م "اشتد الغلاء بإفريقية... وكان أوله سنة 537هـ/1142م، وعظم الأمر على البلاد حتى أكلوا بعضهم بعضا، وقصد أهل البوادي المدن من الجوع، فأغلقها أهلها دونهم، وتبعه وباء وموت كثير حتى خلت البلاد... وسار كثير منهم إلى صقلية، في طلب القوت ولقوا أمرا عظيما"⁴⁹.

وفي حوادث سنة 543هـ/1148م "كانت الشدة دوام الغلاء في جميع المغرب من سنة 537هـ/1143م، وكان أشد ذلك سنة 542هـ/1147م، فإن الناس فارقوا البلاد والقرى، ودخل أكثرهم إلى مدينة صقلية"⁵⁰. ف"أرسل رجار مراكب للمدينة فهزمهم"⁵¹، رغم أن أوضاع المدينة كانت مواتية لغزو النورمان.

5- الغزو:

سنحاول ذكر غزوات النورمان لساحل الشمالي الإفريقي، ولأهم المدن التي سيطروا عليها، سواء بنفوذهم أو باحتلالهم الفعلي.

1.5. غزوات رجار الثاني في الشمال الإفريقي:

عندما فرغ رجار الثاني من مشاكله في أوروبا (عقد مع البابا إينوسنت الثاني Innocent II معاهدة سلام سنة 533هـ/1139م، وأخضع ثورة البارونات سنة 534هـ/1140م)، وجه جل اهتمامه لمدن شمال إفريقيا، خاصة أن المرابطين، الذين طالما أزهبوه، ضعفوا بعد أن استفحلت حركة الموحدين في المغرب الأقصى. كما أن الفتن الداخلية استفحلت بين حكام الدويلات الإفريقية، ضف لذلك مجاعة سنة

47 أسرة طرابلسية قريها حاكم طرابلس محمد بن خزون، وأخذت بالعمل السياسي إلى جانبه وسيطرت على الأمور في المدينة مستغلة ضعف بني خزون لدرجة أنها أزاحتهم وحكمت بدلهم. انظر النائب الأنصاري، المرجع السابق، ص 119.

48 محمد بن غلبون الطرابلسي، تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، عني بنشره: الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ/1930م، ص 48-49.

49 ابن الأثير، المصدر السابق، المجلد 9، ص 349.

50 المصدر نفسه، المجلد 9، ص 350.

51 محمد بن أبي دينار، كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، 1286هـ/1869م، ص 91.

1143/هـ 537م التي دامت عدة سنوات، ما اضطر كثير من أهلها اللجوء لصقلية. وبدأ أسطول رجار الثاني منذ ذلك العام في مهاجمة المدن المغاربية الساحلية، فهاجم أسطوله بقيادة جورج الأنطاكي طرابلس، لكن القبائل العربية المحيطة بالمدينة ردت⁵².

امتدت غزوات رجار الثاني على الساحل الإفريقي سنوات 529-547/هـ 1135-1153م، من طرابلس مروراً بالمهدية⁵³. وجاء في أحداث سنة 537/هـ 1143م، أن رجار الثاني هاجم جيجل من أعمال بني حماد، وملك جزيرة قارقينة وباع أهلها في صقلية، وخافته جل البلاد الإفريقية⁵⁴. وذلك بعد فشل قطع بحرية من أسطوله في الاستيلاء على طرابلس⁵⁵. وفي سنة 538/هـ 1144م دخلت صفاقس في ممتلكات صقلية، وفي سنة 543/هـ 1148م استولى جورج الأنطاكي على المهدية⁵⁶ بسهولة كبيرة بعد هروب الحسن صاحب المهدية⁵⁷.

وبهذا شكّل رجار الثاني نوع من الحماية الصقلية، وأصبح له قاعدة دائمة. كان همه الوصاية والمنافع الاستراتيجية⁵⁸. وكان استيلاء جورج الأنطاكي على المهدية بمثابة مشاركة رمزية لرجار الثاني في الحروب الصليبية⁵⁹، لكن من موقع آخر، ولهذا طلب المساعدة من بعض الإمارات المسيحية فأجابه منهم ملك قشتالة⁶⁰.

2.5- غزو طرابلس:

كان أول صدام مباشر للمدينة مع النورمان سنة 537/هـ 1143م حين أرسل رجار الثاني أسطوله "فتقبوا سور طرابلس. واستنجد أهلها بالعرب الذين خرجوا للنورمان وهزموهم وغنموا أسلحتهم ودوابهم ورجع النورمان لصقلية مهزومين"⁶¹.

وفي سنة 540/هـ 1145م كانت "مجاعة هلكت فيها الناس وفروا عن أوطانهم، فجهز إليها لجار (كذا) صاحب صقلية أسطولاً حاصرها به، ... ووقع بين أهل طرابلس خلاف أدى

52 مهديوح حسين، المرجع السابق، ص 209-210.

53 H. Besc, Op.cit., p. 194-195.

54 ابن أبي دينار، المرجع السابق، ص 91.

55 أحمد عزيز، المرجع السابق، ص 66.

56 ابن عذارى، المصدر السابق، ص 451.

57 D. Abulafia, Op.cit., p. 320.

58 H. Besc, Op.cit., p. 194-195 et 189 et 197.

59 أحمد عزيز، المرجع السابق، ص 67.

60 سليم حياوي، المرجع السابق، ص 16.

61 ابن عذارى، المصدر السابق، ص 451.

إلى تغلب الأسطول المذكور عليها، فأحسن قائده جرجي بن ميخائيل إلى أهلها لما أضمره من تملك غيرها من البلاد الساحلية"⁶².

أما ابن الأثير ففصل حملة النورمان على المدينة بقوله: "في هذه السنة (541هـ/1146م) ملك الفرنج، لعنهم الله، طرابلس. جهز أسطولا كثيرا... فأحاطوا بها برا وبحرا، ... فخرج إليهم أهلها وأنشبو القتال، فدامت الحرب بينهم ثلاثة أيام.... بعدها سمع الفرنج بالمدينة ضجة كبيرة وملت الأسوار من المقاتلة. وسبب ذلك أن أهل طرابلس كانوا قبل وصول الفرنج بأيام يسيرة قد اختلفوا، فأخرج طائفة منهم بني مطروح، وقدموا عليهم رجلا من المثلثين، قدم يريد الحج، ومعه جماعة، فولوه أمرهم. فلما نالهم الفرنج، أعادت الطائفة الأخرى بني مطروح، فوقع الحرب بين الطائفتين، وملت الأسوار، فانتهاز الفرنج الفرصة، ونصبوا السلاالم وطلعوا على السور واشتد القتال، فملك الفرنج المدينة عنوة وقهرا بالسيف فسفكوا دماء أهلها وسبوا نسائهم وأخذوا أموالهم، وهرب من قدر على الهرب، والتجأ إلى البربر والعرب، فنودي بالأمان في كافة الناس. فرجع كل من فر منها، وأقام الفرنج ستة أشهر، حتى حصنوا سورها وحفروا خنادقها، ولما عادوا أخذوا رهائن أهلها، ومعهم بني مطروح والمثلث، ثم أعادوا رهائنهم، وولوا عليها رجلا من مطروح وأخذوا رهائنه وحده، واستقامت أمور المدينة، وألزم أهل صقلية والسفن والروم بالسفر إليها، فانعمرت سريعا"⁶³. و"صار للفرنج من طرابلس إلى قريب تونس، ومن المغرب إلى دون القيروان"⁶⁴.

لكن النائب الأنصاري جعل سنة 543هـ/1148م هي تاريخ الغزو⁶⁵. أما ابن أبي دينار فذكر سنة 541هـ/1146م⁶⁶، وجعل ابن خلدون سنة 540هـ/1145م تاريخ غزو المدينة⁶⁷.

6- طرابلس تحت حكم النورمان:

جاء بناء مملكة النورمان الإفريقية عبر غزو المدن الساحلية ثم إقامة حاميات وبعدها إعادة الإعمار (عودة السكان بإرادتهم) وحكمها غير المباشر. هكذا استعادت المدن المحتلة حكمها الداخلي⁶⁸.

62 أحمد التجاني: المصدر السابق، ص 241.

63 ابن الأثير، المصدر السابق، المجلد 9، ص 338.

64 المرجع نفسه، المجلد 9، ص 352.

65 النائب الأنصاري، المرجع السابق، ص 122.

66 ابن أبي دينار، المرجع السابق، ص 91.

67 ابن خلدون، المرجع السابق، ص 1638.

1.6- تأمين الساكنة:

كان جيش رجار الثاني يتكون من مسلمين ومسيحيين⁶⁹. وبعد غزو المدينة أعلن النورمان مصالحة سكانها، ودعاهم جورج الأنطاكي للعودة، فعاد جزء كبير منهم اختاروا واحدا منهم واليا (أبو يحيى رافع بن مطروح) (كان حيا سنة 568هـ/1173م)، وانتخبوا قاضيا منهم. عند ذلك أطلق الأميرال الصقلي سراح الأعيان، فهدأت الأحوال واستأنف السكان حياتهم العادية، وأبحر الأميرال من طرابلس تاركا حامية دفاعية صغيرة⁷⁰. ثم نادوا في صقلية بالمسير إلى طرابلس فصار إليها الناس⁷¹.

2.6- سياسة النورمان في المدينة:

و"بعد تولية رافع بن مطروح من طرف النورمان استقامت أمور المدينة، وانظم أهل صقلية والروم إليها فعمرت سريعا وحسن حالها. وأحسن القائد جرجي لأهلها لما أضمره من تملُّك غيرها من البلاد الساحلية، ... فكانت أحكام المسلمين كلها مصروفة إلى واليهم وقاضيتهم، ولم يكن النصراني يتعرض لشيء من أحكامهم. وأقامت تحت تغلب النصراني 12 عاما"⁷².

وضع النورمان منذ احتلالهم للمدينة عدة تدابير لضمان سيطرتهم عليها، وللإستفادة من خيراتها. وقد عمّموا هذه التدابير فيما بعد على كامل البلاد الإفريقية التي احتلوها. وتتمثل التدابير في:

العمل على إشاعة الاطمئنان فيها، حيث تركوا أهلها يديرون شؤونهم الداخلية بأنفسهم، فعينوا على كل مدينة والي وقاضي ارتضاها أهلها.

رمموا أسوارها وحافظوا على النظام العام.

شجعوا على إعادة الحياة الطبيعية للمدينة. حتى أنه كان يصعب على المرء إيجاد فرق بين وضع المدن المحتلة قبل الاحتلال وبعده، إلا في الرهائن الذين أخذهم النورمان، والجزية التي فرضوها على غير المسيحيين من أهلها، وحاميات الجند النورماني

68 H. Besc, Op.cit., p. 197.

69 ابن أبي دينار، المرجع السابق، ص 90.

70 رشدي راسم، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، جميع الحقوق محفوظة للمؤلف، الطبعة 2، طرابلس، ليبيا، 1953، ص 80.

71 النائب الأنصاري، المرجع السابق، ص 123.

72 ابن غلبون، المرجع السابق، ص 50، والتجاني، المصدر السابق، ص 241، 242.

التي وضعوها فيها بهدف حمايتها. ولدفع عجلة الحياة وإنعاشها شجعوا على التجارة بين صقلية والمدن المحتلة، وقد أسهمت المدن الإيطالية بنصيب كبير في هذا النشاط⁷³.

وارتكز الحكم النورماني في المدن المحتلة على حاميات عسكرية في المدن الكبرى، و"ابتزازات" على السكان المسلمين المحليين، وحماية المسيحيين، وسك العملات المعدنية، كما أبقى الطبقة الأرستقراطية المحلية في مكانها، وسيطر الأمراء المسلمون على الحكومة المدنية تحت إشراف صقلية. وتم تعزيز الروابط الاقتصادية بين صقلية وشمال أفريقيا⁷⁴.

3.6- سياسة رجار الثاني في المدن المحتلة :

تكاد تتفق المصادر والمراجع التي عدنا إليها أن حكم رجار الثاني لساحل شمال إفريقيا كان رحيما بالسكان المسلمين كما كان رحيما بمسلمي صقلية. فقد رمم المدن ووفر رأسمال للتجار، بل وتصدق على الفقراء وولى قضاة رضي عنهم السكان⁷⁵. وكلما دخل النورمان مدينة كانوا يحسنون لمن رجع إليها من أهلها. كما جبي رجار الثاني خراج رعايا هذه المدن برفق وإحسان، واستمال الناس وسار فيهم سيرة حسنة⁷⁶.

كما شجع النشاط الاقتصادي في المدينة، لاسيما التجارة البحرية مستغلا الظروف العامة التي تمر بها المنطقة، حيث كانت تشكو حالة من القحط والغلاء، فازدهرت طرابلس وأصبحت مركزا تجاريا مهما⁷⁷.

وما يدل على شدة اهتمام رجار الثاني بتنشيط الحركة التجارية في المدن المحتلة وإنعاش اقتصادها، ولمزيد من الاستقرار الاقتصادي ضرب سنة 543هـ/1148م في المهديّة دنانير شبيهة بالدنانير الإسلامية بعد احتلالها بقليل. ما كان له الأثر الحسن على الحياة الاقتصادية، حيث وفر المزيد من الثقة في التعامل التجاري⁷⁸.

لم يكن دمج شمال إفريقيا في مملكة صقلية ليثير أي مشاكل لرجار الثاني. كانت الروابط الثقافية بين صقلية وشمال إفريقيا أقوى من تلك الموجودة بين صقلية وشبه

73 ممدوح حسين، المرجع السابق، ص 219.

74 موقع stringfixer، المرجع السابق.

75 D. Abulafia, Op.cit., p. 320.

76 ابن أبي دينار، المرجع السابق، ص 92.

77 سليم حياوي، المرجع السابق، ص 30.

78 ممدوح حسين، المرجع السابق، ص 220.

الجزيرة الإيطالية. كما أن تشكيل حكومة إفريقيا النورمانية جاء بعناية كبيرة. كما هو الحال في صقلية، تم إيلاء اهتمام وثيق لمصالح السكان المسلمين، بينما استفاد المسيحيون من الإعفاء من الجزية التي كانت مفروضة عليهم قبل الاحتلال من طرف المسلمين، بصرف النظر عن الحاميات في المدن الإفريقية. كما لا يمكن العثور على أدلة وجود خصائص "نورمان"، إذ لم يكن مهندسو الإمبراطورية الإفريقية من النورمان بل كانوا من الحاشية اليونانية والعربية⁷⁹.

وكان رجار الثاني كحاكم لإفريقيا، يهدف إلى تشجيع اللاجئين المسلمين في صقلية لعودتهم لإفريقيا، وأصدر مرسوما بهذا المعنى. حافظ على ولاء نطاقاته الإفريقية من خلال تقديم الحبوب. وأصبحت إفريقيا النورمانية "غنية ومزدهرة، بينما شعر باقي سكان البربر والجزء الأكبر من المشرق بالأم الجوع، خلال هذه الفترة من المجاعات المستمرة. وازدهرت طرابلس.... وتردد عليها الصقليون بغية التجارة، مما أدى إلى... ازدهارها. بدأ التجار من جنوة المرتبطين بصقلية التجارة مع طرابلس أيضا"⁸⁰.

4.6. الوجه الآخر لهذه السياسة:

ترك رجار الثاني السلطة الدينية والقضائية في أيدي محلية. وكان في كل مدينة حامية نورمانية تحت قيادة قائد صقلي، وفرضت ضريبة رأس على السكان المسلمين، ولكنها أخف من تلك التي كانت في صقلية على المسلمين في نفس الوقت. ربما استفاد المجتمع المسيحي المحلي من حكم رجار الثاني⁸¹.

كما حاول النورمان تغيير هوية طرابلس وذلك بتشجيع الهجرة إليها، فهاجر عدد من المستثمرين لغرض الاستيطان، كما منح رجار الثاني مساكن وأراضي زراعية وقروضا مالية، وذلك تشجيعا منه للصقليين على الهجرة والاستيطان في طرابلس. وهي "نزعة استيطانية استعمارية مبكرة،... هي بداية الطريق لدى رجار لتأسيس إمبراطورية نورمانية تشمل صقلية وشمال أفريقيا"⁸².

79 موقع stringfixer، المرجع السابق.

80 المرجع نفسه.

81 نفسه.

82 سليم حياوي، المرجع السابق، ص 29.

ويظهر أن اختيار والي من سكان المدينة أعطى النورمان نوع من الشرعية. وسكنت كثير من المصادر عن حقبة السيطرة النورمانية على طرابلس⁸³.

وفي سنة 544هـ/1149م جرت حروب كثيرة بين صاحب صقلية وملك القسطنطينية، فاشتغل بعضهم ببعض عن المسلمين، ولولا ذلك لملك رجار الثاني جميع بلاد إفريقية. "ومن فعل ذلك بالروم والمسلمين هو جورجي الأنطاكي، وزير صاحب صقلية، إلى أن مات بالمرض سنة 546هـ/1151م، فسكنت الفتنة واستراح الناس من شره وفساده، ولم يجد صاحب صقلية من يقوم مقامه بعده"⁸⁴. وأضاف رجار الثاني، إلى ألقابه لقب "ملك إفريقية"⁸⁵.

7- النتيجة:

سنحاول هنا ذكر نتيجة الاحتلال النورماني لمدن ساحل الشمالي الإفريقي، الإيجابية والسلبية بالنسبة للنورمان، على امتداد سنوات الاحتلال.

1.7. الإيجابية:

لقد سمحت السيطرة النورمانية على شمال إفريقيا لصقلية التحكم في الطرق البحرية بين غرب وشرق المتوسط. فرض رجار الثاني ضرائب على الشحن. وبفضل علاقاته الجيدة مع مصر الفاطمية، كان بإمكان السفن التجارية الإيطالية السفر على الضفة الجنوبية للمتوسط بسلام. وكانت القوافل العابرة للصحراء أكثر ربحاً لشمال إفريقيا وجنوب إيطاليا. كانت نقطة التوقف المهمة بالنسبة لهؤلاء هي بجاية، والتي ربما هاجمها رجار الثاني خلال هذه الفترة، ولكن لم يستطع بسط السلطة عليها، على الرغم من أنه حافظ على صلات مع الأمير الحمادي المخلوع يحيى بن العزيز (514-546هـ/1121-1152م)⁸⁶.

إن السياسة التي انتهجها رجار الثاني في طرابلس وفي المدن الإفريقية التي احتلها جعلته المستفيد الأول والرئيسي من ثمرة الإجراءات التي ذكرناها أعلاه، فقد امتلأت خزائنته بالأموال من عائدات التجارة، خاصة تجارة القمح التي كان يحتكرها، ورسوم الموانئ وضرائب الأسواق وعائدات استئناف تدفق الذهب من قلب القارة، إضافة للمبلغ

83 المرجع نفسه، ص 29، 30.

84 ابن الأثير، المصدر السابق، المجلد 9، ص 363.

85 أحمد عزيز، المرجع السابق، ص 67.

86 موقع stringfixer، المرجع السابق.

الضخم الذي كان يجنيه سنويا من ضريبة الرأس التي فرضها على غير المسيحيين. وهي فوائد من الضخامة يمكن أن تكون سبب الاحتلال. وقد اعترف بأهمية هذا السبب رغم اقتناعه أن كل حرب بين المسلمين والمسيحيين هي حرب صليبية. وهنا الغاية الاقتصادية من الاحتلال كانت هدفا بارزا من أهدافه. كما شجع على هجرة الصقليين خاصة والإيطاليين عامة إلى إفريقيا للاستيطان بها⁸⁷.

2.7- السلبية:

لكن مملكة رجار الثاني الإفريقية كانت هشة، لضعف الأسطول الذي كان يُؤود بأبناء فلاحين بالقوة وليس ببحارة متمرسين، إضافة للعلاقات السيئة مع جيرانه في أوروبا⁸⁸. كما أن استيلاءه على بلاد الساحل الجنوبي كلها ووضع الجزية عليها لم يدم طويلا، فقد حررها عبد المومن بن علي (527-558هـ/1133-1163م)، شيخ الموحدين⁸⁹.

وتم التخلي عن كل إفريقيا النورمانية بشكل أساسي للموحدين. سقطت طرابلس عام 553هـ/1158م⁹⁰. وذلك "لما افتتح عبد المومن أكثر بلاد إفريقيا، خاف نصارى طرابلس أن يماثله أهل طرابلس فأمرهم أن يصعدوا المنابر ويتكلموا بالسوء على الموحدين، لكن أهل طرابلس رفضوا، وذكروا النصارى أن العقد بينهم كان ألا يكلفوا المسلمين شيئا مما يخالف أمر دينهم، فإما يرضوا بذلك أو يسلموا البلد، فأعفاهم النصارى من ذلك"⁹¹. وفي سنة 555هـ/1160م "نبذ يحي بن مطروح طاعة الإفرنج، ووفد مع وجوه أهل طرابلس على عبد المومن بن علي بالمهدية، وهي سنة تحريرها من النورمان، فوسعهم برا وتكرمة، وردهم إلى بلدهم"⁹². والتاريخ هنا لا يستقيم. وبقي يحي بن مطروح واليا على طرابلس إلى أن هرم وعجز واعتزل⁹³.

يعود فشل مملكة إفريقيا النورمانية إلى خيبة النورمان، بعد وفاة رجار الثاني من قيمة الضرائب المجبأة، كما أن المملكة كانت عبئا أكثر منها إنجازا⁹⁴. إن عنف الغزو الأول

87 ممدوح حسين، المرجع السابق، ص 220-221.

88 H. Besc, Op.cit., p. 197.

89 النائب الأنصاري، المرجع السابق، ص 124.

90 موقع stringfixer، المرجع السابق.

91 ابن غلبون، المرجع السابق، ص 51، والتجاني، المصدر السابق، ص 242.

92 النائب الأنصاري، المرجع السابق، ص 128.

93 ابن خلون، المصدر السابق، ص 1638.

94 H. Besc, Op.cit., p. 198.

لم يُنسى، كما طريقة المراقبة والحكم؛ أخذ الرهائن، نداء لسكان صقلية للهجرة لهذه المناطق، كل هذا أدى لنتيجة حتمية هي الفشل والانفصال⁹⁵.

الخاتمة:

رأينا كيف كانت الظروف المحلية والجهوية والدولية موالية للنورمان لاحتلال أجزاء من غرب المتوسط. فقد غزا رجار الثاني ووحد جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا في مملكة واحدة (مملكة الصقليتين)، بينما كانت مدن الشمال الإفريقي تعيش التفتت والانقسام. وللمكانة والموقع الاستراتيجي الذي كانت تتمتع بها طرابلس، فقد تعرضت لمحاولات الغزو النورماني مبكرا، إلى أن نجح رجار الثاني في غزوها سنة 540هـ/1146م.

وكانت الدوافع الاقتصادية والاستراتيجية، ثم الدوافع الدينية المحرك لهذا الغزو، خاصة أن طرابلس كانت تعيش صراعا على الحكم سهّل احتلالها. ومباشرة بعد الغزو أمن النورمان السكان ونادوا فيمن هرب منها للعودة لديارهم. وأشاع النورمان في طرابلس الاطمئنان بين ساكنيها، وتركوهم يديرون شؤونهم الداخلية بأنفسهم، وعينوا عليها والى وقاضى من اختيار سكانها، كما رمموا أسوارها وحافظوا على النظام العام. وشجعوا على إعادة الحياة الطبيعية للمدينة. وهى سياسة يصعب إيجاد فرق بين وضع المدن المحتلة قبل الاحتلال وبعده، إلا في الرهائن الذين أخذهم النورمان والجزية التي فرضوها على المسلمين.

ومنه يمكن القول أن الاحتلال النورمانى لطرابلس لم يطغ عليه التعصب الدينى، كما أن سياسة رجار الثاني في المدينة كانت سياسة متسامحة للحفاظ على الاستقرار. وتكاد تتفق المصادر أن حكم رجار الثاني لمدن ساحل شمال إفريقيا كان رحيما بالسكان المسلمين، كما كان رحيما بمسلمي صقلية، فقد رمم المدن وولى قضاة رضي عنهم السكان، وترك أهالي المدينة يديرون شؤونهم بأنفسهم.

لهذا يمكن القول أن أهداف رجار الثاني من وراء احتلال مدينة طرابلس كانت استراتيجية اقتصادية بالدرجة الأولى، ثم دينية صليبية، خاصة عندما حاول إغراق المدينة بالنورمان للعمل بها، وذلك بدعوته لسكان صقلية للهجرة إليها. وقد تغيرت هذه السياسة في أخريات حكمه لأسباب عدة، وطفى على مواقفه التعصب الديني ضد المسلمين، وهو موضوع آخر يحتاج لمقال آخر.

95 Ibid., p. 208.

البليوغرافية:

- ✓ ابن الأثير عز الدين: الكامل في التاريخ، المجلد 8 و9، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة 4، 2003.
- ✓ ابن خلدون عبد الرحمان: تاريخه: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، طبعة مصححة، اعتنى بها: أبو صهيب الكرمي، الأردن-السعودية: بيت الأفكار الدولية، د.ت.
- ✓ ابن غلبون محمد الطرابلسي: تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تصحيح وتعليق: الطاهر أحمد الطرابلسي، القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، 1349هـ/1930م.
- ✓ الأنصاري أحمد بك النائب: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ليبيا: منشورات مكتبة الفرجاني، د.ت.
- ✓ الحموي شهاب الدين ياقوت: معجم البلدان، المجلد 4، بيروت: دار صادر، د.ت.
- ✓ حياوي فراس: الغزو النورماني للساحل الإفريقي (تونس وليبيا) في القرن السادس الهجري، العراق: جامعة بابل، قسم التاريخ، 2010.
- ✓ لوبون غوستاف: حضارة العرب، ترجمة: علي زعيتير، مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012.
- ✓ مجهول (كاتب مغربي من القرن 6هـ/12م): كتاب استبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، د.ب: د.د.ن، د.ت.
- ✓ المدني أحمد توفيق: المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، الجزائر: وزارة الثقافة، 2007.
- ✓ مهدوح حسين ومصطفى شاكر: الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري، عمان، الأردن: دار عمار، 1998.
- ✓ المراكشي ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار المغرب، الجزء 1، لبنان: مكتبة صادر، 1950.
- ✓ موقع الألوكة، الوجود الإسلامي في صقلية بعد سقوطها في أيدي النورمان، https://www.alukah.net/world_muslims، تاريخ الاطلاع: 2022/08/24.
- ✓ موقع stringfixer: مملكة إفريقيا، https://stringfixer.com/ar/Kingdom_of_Africa، تاريخ الاطلاع: 2022/08/18.
- ✓ مؤنس حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مصر: دار رشاد، طبعة خاصة، 2004.
- ✓ القيرواني محمد بن أبي دينار: كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تونس: مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، 1286هـ/1869م.
- ✓ عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة: أمين توفيق الطيبي، د.ب: الدار العربية للكتاب، 1980.

✓ راسم رشدي: طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، ليبيا: جميع الحقوق محفوظة للمؤلف، الطبعة 2، 1953.

✓ التجاني أحمد بن محمد: رحلة التجاني، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، ليبيا-تونس: الدار العربية للكتاب، 1981.

✓ Abulafia David: The Great Sea A Human History of the Mediterranean, Great Britain/USA: Oxford university press, , 2011.

✓ Aubé Pierre : « Roger II de Sicile. Un « Normand en Méditerranée » », in **La Pensée de Midi**, France, N° 8, 2002, pages 115-119.

✓ Bresc Henri: « La Sicile et l'espace lybien au moyen âge », in **Africa**, Institut des mondes africains, France, N° 63, 2, 2008, pages 187-208.

✓ Valérien Dominique : « Tripoli dans les réseaux d'échanges intercontinentaux à la fin du Moyen Âge », in **Hypothèses**, Université Paris 1 Panthéon-Sorbonne, Paris, N° (16), 2013/1, pages 353 -363.